Information Sciences Letters
An International Journal

http://dx.doi.org/10.18576/isl/121130

The Quranic Readings and the Impact of Syntactic and lexical Differences on their Semantic Integration, Verses from Surah Al-Baqarah

Atallah Raja Mohammad Al hajaya[1,], Arabi Hejazi Faroq Hejazi[2], Abdelhadi Nayef Ali Alqaedah[3], Majid Ghazi Al-Zoubi[4], Huda Mustafa Hassan Saif[4] and Ismeel Mah,d Mnazel AL-Gayam[5]*

[1]Department of Arabic Language, College of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan
[2]Arabic Language Department, Language Center, University of Jordan, Amman, Jordan
[3]Department of History, College of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan
[4]Language Center, University of Jordan, Amman, Jordan
[5]Department of Basic Sciences, Al-Balqa Applied University, Ajloun University College, Amman, Jordan

Received: 29 Sep .2023, Revised: 24 Oct. 2023, Accepted: 31 Oct. 2023.
Published online: 1 Nov. 2023.

Abstract: This research focuses on the various Quranic readings of verses from Surah Al-Baqarah. The study reveals that these readings complement each other in their different linguistic expressions, in terms of their variations in morphological and lexical aspects. The study affirms that this variation does not lead to contradiction; rather, it represents a harmonious portrayal and depiction of meaning. This is done in order for the message or purpose of the speech to reach the recipient, whether they are a reader or a listener, in the most comprehensive manner possible, encompassing all possible rational aspects within the context, words, and structures.

Keywords: Quranic readings, integration, morphological level, linguistic level.

*Corresponding author e-mail: a.hajaya@ju.edu.jo

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

القراءات القرآنيّة وأثر الاختلافات الصّرفيّة واللُّغويّة في تكاملها الدّلاليّ، آيات من سورة البقرة.

عطا الله رجا[1]، عربي حجازي حجازي[2]، عبد الهادي نايف[3]، ماجد غازي[4]، هدى مصطفى[5] إسماعيل محمود[6].

[1] قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمّان-الأردن.
[2] قسم اللغة العربية، مركز اللغات، الجامعة الأردنية ،عمّان، الأردن، محاضر غير متفرّغ .
[3] قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، عمّان، الأردن.
[4] مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمّان-الأردن.
[5] مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمّان- الأردن، محاضر غير متفرّغ.
[6] قسم العلوم الأساسية، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية عجلون الجامعية، عمّان، الأردن.

ملخص الدراسة: يتناول هذا البحث دراسة القراءات القرآنيّة المختلفة لآيات من سورة البقرة. وتبيّن نتيجة للدراسة أنّ هذه القراءات تتكامل في تعبيراتها اللُّغوية المختلفة من حيث اختلافُها في أحوالها الصّرفيّة واللُّغوية المعجميّة، وتؤكّد الدراسةُ أنّ هذا الاختلاف لا يؤدّي إلى التناقض بحال، بل هو التكامل في تصوير المعنى ورسمه؛ ذلك من أجل أنْ تكون الرسالة أو الغاية من الكلام والمقصد قد وصل المتلقّي قارئًا كانَ أم مستمعا على غاية التمام، وبكلّ وجوهه الممكنة عقلا ضمن ما يحتمله السياق، والألفاظ والتراكيب.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرءانيّة، التكامل، المستوى الصرفي، المستوى اللُّغوي.

1. مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد،

فإنّ القرآن الكريم ومجالاتِ بحثه غيرُ متناهية بحال؛ ذلك لوجوه منها: أنّه كلام الله سبحانه، وأنّه رسالة إلى العالمين متطاولةً إلى يوم الدين، متضمّنةً كلّ ما يحتاجه الإنسان من القضايا الاعتقاديّة والعمليّة التي لا بدَّ وأنْ يؤمن بها، وتنظم شؤون حركته وعلاقاته من الجوانب كلّها. وطبيعة هذه الرسالة إنّها تقوم على اللُّغة من الخبر والإنشاء والأمر والنهي، وسِيَر الأوّلين وأحوالهم ومآلاتهم، وضرب الأمثال، وتحدّي الإنس أنْ يأتوا بمثله والجانّ.

2. فرضيّة الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضيّة أنّ القرآن الكريم ووجوه قراءاته، جاءت على وجه تكاملي، وغاية في البلاغة والبيان.

3. منهج الدراسة

قامت الدراسة على منهج الاستقراء والتحليل، وذلك باختيار عيّنات ممثّلة للظاهرتين: الصرفيّة واللُّغوية، بتتبّع آيات سورة البقرة، واستخراج منها ما يمثّل وجوه اختلافات القراءات المتواترة منها دون الشاذة والضعيفة أو الباطلة، وذلك لتكون الفائدة عمليّةً مباشرةً مؤثّرة في الفهم، والعمل بمقتضى الآية، إنْ كانت ممّا يتطلّب العمل، أو كانت تصديقًا مجرّدًا لما يتطلّب ذلك، أومجموع التصديق مع العمل. لذلك اخترنا خمس آيات للتمثيل على التكامل الصرفي، وأربع آيات للتمثيل على التكامل اللُّغوي، ولم يكن الاختيار على وجه الحصر، بل لغاية التمثيل فحسب.

4. خطّة الدراسة

قام البحث على مقدّمة تفصّل حيثيّاته، ثمّ تمهيد يُبيّنُ فيه دور العلماء الأوائل خاصّة ابن قتيبة (277هـ) ووقوفه على وجوه الأحرف السبعة، وبعض من تبعه من العلماء، وأفرد بعد ذلك المبحث الأوّل في دراسة المستوى الصرفي في خمس آيات تدلّ على المتغيّرات الصرفيّة، والمبحث الثاني لدراسة المستوى اللُّغوي والقراءات التي جاءت من خلاله، وكيف تكاملت دلالاتها وتمّت الصورة والغاية، ذلك في أربع آيات دالّة، ثمّ خاتمة عرضنا فيها إلى النتائج.

5. تمهيد

انشغل العلماء بمسألة تعدّد القراءات القرآنيّة واختلافها، وبناء على صحّة نقلها وثبوتها؛ فانصرفوا إلى دراستها، وأكثروا من التصنيف فيها، وعرضوها على ما توصّلوا إليه في درسهم اللُّغوي من نحو وصرف وأصوات ودلالات، فتمّ لهم توجيهها وتصنيفها، فجمعت الدراسات التي بدأت مُتفرّقة في مؤلّفات خُصّص بعضها لموضوع الاحتجاج للقراءات، وشارك المفسرون اللُّغويين فعرضوا أثناء تفسيرهم لاختلاف القراءات إلى تحليلها اللُّغوي، وبيان ما في كلّ قراءة من توجيه أو حجّة لغويّة.

ولعلّ هذا الموضوع ليس له بداية واضحة في مؤلّفات المتقدّمين، كما أنّه ليس بين أيدينا مؤلّفات تناولت الدرس اللُّغوي بمستوياته الصرفيّة والنحويّة والدلالية إضافة إلى الصوتيّة قبل أنْ يضع سيبويه كتابَه، ولم يكن كذلك كتاب سيبويه معنيًّا بالقراءات واختلافها، وما جاء فيه من وجوه القراءات جاء عرضًا في بيان المسائل اللُّغوية، فيقول: هذه قراءة أهل المدينة أو أهل الشام[1]... وحسب ما اطّلعنا عليه من المؤلّفات اللُّغوية وكتب التفسير، يبدو أنّ كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت276هـ) أوّل عمل في الدرس اللُّغوي القرآني الذي تناول مستويات الاختلافات بين القراءات. فقد جعلها ابن قتيبة سبعةَ مستويات غلب عليها التأويل اللُّغوي للقراءات؛ قال: "وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه.

أوّلها: الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها"[2]، ومَثّلَ على هذا اللون بأمثلة منها قوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون} "فنَظِرَةٌ إلى ميسَرة/ ميسُرة"[3].

الثاني: "أنْ يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب".

والوجه الثالث: "أنْ يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: "وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها/ نُنْشِرُها/ نَنْشُرُها".

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

ومن المؤكّد أنّ الذي دعا ابن قتيبة إلى هذا ليس ما اشتهر من بعده باختيار سبعة من القرّاء لتكون قراءاتهم هي القراءات السبعة المعتمدة، وهو العمل الذي قام به ابن مجاهد (ت 324هـ) صاحب الكتاب (السبعة في القراءات). الذي كان حافزًا للدارسين لوضع كتب الاحتجاج للقراءات من بعده، بل إنّ الذي دعا ابن قتيبة لاستنباط أوجه الاختلاف حديثُ النبيّ (صلى الله عليه وسلم): "أنزل القرآن على سبعة أحرف[4]". كما ذكر في باب الردّ عليهم في وجوه القراءات[5].

لقد أثار هذا الحديث المهتمين بلغة القرآن، وتنوّع القراءات إلى دراسة أوجه الخلاف بين القراءات، وموافقة تلك الفروق لدلالة الحديث، ومنهم من أنكر العلاقة بين الحديث والقرآت السبع [5]، فتسبيع القراءات جاء متأخّرًا في القرن الرابع كما ذكرنا. ولا ريب في أنّ هذا الاهتمام أدّى إلى ثراء الدرس اللّغوي، أصواتا ونحوًا وصرفًا ودلالة.

والوجه الرابع: أنْ يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً}، وقرئت: "زقية[4]".

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَّنضُود}، وقرئت: "وطلع[4]".

الوجه السادس: أنْ يكونَ الاختلاف بالتقديم والتأخير؛ ومنه قوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق" وقرئ: "سكرة الحق بالموت"[سورة ق، آية رقم 19].

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: {لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} وقرئ: "وما عملت[2]".

ويلاحظ أنّ أربعة من الأوجه السبعة التي ذكرها ابن قتيبة تُركّز على الربط بين اللفظ والمعنى في الأوجه الخلافيّة.

ثمّ ذكر ابن قتيبة أنّ الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد، وبيّن أنّ اختلاف التضاد غير جائز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلّا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ. وأمّا اختلاف التغاير فجائز، وضرب له عددا من الأمثلة، وأكّد صحّة المعنيين في القراءات ذوات المعنيين، إذ إنّ لكل قراءة معنى، فقال في قوله تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيم}"إذ تَلَقَّونه بألسنتكم[3]"، وقرئ: "تَلِقونه"، إنّ معنى: "تَلَقَّونه": تقبلونه، وتقولونه، وأمّا معنى: "تَلِقونه": من الولق وهو الكذب، ويختم ابن قتيبة تعليقه على القراءتين: "والمعنيان جميعًا، وإنْ اختلفا صحيحان؛ لأنّهم قبلوه وقالوه، وهو كذب، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعًا في غرضين"[6].

وأقرّ العلماء، خاصّة من اهتمّ بتنوّع القراءات القرآنيّة، بما ذهب إليه ابن قتيبة، ومنهم: ابن الجزري صاحب كتاب النشر في القراءات العشر، فهو يؤكّد أنْ ليس في شيء من القرآن تناف ولا تضاد ولا تناقض، وكلُّ ما صحّ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك وجب قبوله، ولم يسع أحدًا من الأمّة ردّه، ولزم الإيمان به، وأنّه كلّه منزل من عند الله، إذ كلّ قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلّها، واتّباع ما تضمنته علمًا وعملًا، ولا يجوز ترك موجب إحداهما؛ لأجل الأخرى ظنًّا أنّ هذا تعارض[8].

واستقرّ الأمر على هذا الرأي إلى زمننا هذا، فإنّ هذا البحث سيعرض إلى الاختلافات في قراءة آيات من سورة البقرة استنادًا إلى تنوّع قراءاتها التي يشملها ويعضدها مستويان من الدرس اللّغوي الصّرفي والدلالي، وسنفرد بالدراسة المستويين الآخرين الصوتي والنحوي في دراسة أخرى.

وتجدر الإشارة هنا أنّ الداني قد جعل اختلاف القراءات، أيْ: تنوّعها تبعًا للفظ والمعنى في ثلاثة أنواع:

1. اختلاف اللفظ والمعنى واحد، ومثّل له بآية الفاتحة: السراط، والصراط والزراط. وهو اختلاف صوتي لهجيّ، لا مدخل له في تغيير الدلالات. وليس من باب الترادف.
2. اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، نحو قوله تعالى في آية الفاتحة: "مالك يوم الدين"، و"ومَلِكِ". وهو اختلاف في حقيقته لغويّ، فالملك صاحب السلطة، والمالك: صاحب التصرّف[11].
3. اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع أنْ يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يتّفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد[8].

وتبع الداني على ذلك ابنُ الجزري الذي ذكر الأنواع الثلاثة، ولم يسندها إلى الداني، ففرّق بين القراءات التي لا اختلاف فيها بين اللفظ والمعنى، وبين القراءات التي اختلف فيها اللفظ والمعنى، فقد حدّد نوعين من الاختلاف، أحدهما: ما اختلف لفظه واتّفق معناه سواء كان الاختلاف اختلافًا كلّيًا أو جزئيًّا، وهو الذي عليه موضوع البحث الذي بين أيدينا "التكامل بين القراءات"، نحو قوله تعالى: أرشدنا/ واهدنا، وقوله: يخدعون/ ويخادعون، وقوله: اتَّخَذوا/ اتَّخِذوا... وغيرها[7].

المبحث الأوّل

المستوى الصرفي:

الأصل أنّ كلّ اختلاف في المبنى يؤدّي إلى تغيّر في المعنى، إلّا أنْ يأتي دليلٌ بخلاف ذلك، على نحو الترادف كما هو معلوم، والأصل عدم الترادف، والتغيّرات إمّا أنْ تكون في حروف المبنى أو في ترتيبها، أو شكلها، هذا من جهتي: المعنى المعجميّ والهيئة الصرفيّة في بناء الكلمة، وكذلك من جهة التغيّر في الحركة الإعرابيّة الدالة على التغيّر في الوظيفة النحْويّة كما هو معلوم، وسندرس في هذا المبحث مستوى التغيّر الصرفيّ وأثره الدلاليّ كما ذكرنا من قبل.

ومعنى الصرف: التغيير، ومنه تصريف الرياح، أي: تغييرها، ومن الناحية الاصطلاحيّة: هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعانٍ مقصودة، ولا تحصل إلّا بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والتثنية والجمع، وكذلك هو علم بأصوات يُعرفُ بها أحوال بنية الكلمة، التي ليست إعرابا ولا بناء[9]. ويتبع تلك الاختلافات ضرورةُ اختلافات في الدلالة في أكثر الأمر، لذلك يمكن للباحث أنْ يتتبّع تلك الاختلافات في صيغ تعدّد القراءات، ويقف على دلالاتها والعلاقات بين تلك الدلالات التي تشكّل في نهاية الأمر –كما سيأتي- صورة متكاملة للمعنى المقصود.

- **أمثلة الاختلافات الصرفيّة، وأثرها في اتّساع الدلالة:**

اختلافات القُرّاء في قراءة ألفاظ قرآنيّة تنوّعت فيها الصيغ الصرفيّة تبعًا لاختلاف الخطاب القرآني، ورغم هذه الاختلافات، فإنّه ينطبق عليها ما ذكر سابقا من أنّها اختلافات تغاير لا اختلاف تضاد أو تعارض، كما سيأتي. وذلك في الأمثلة الآتية:

1. صيغتا: (فاعَلَ، يُفاعِل/ وفعَلَ، يَفعَلُ).

ومنه قوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون}،[3]

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ووافقهم اليزيدي: "وما يخادعون"، وقرأ الباقون: "وما يَخْدَعُون".

- فالصيغتان: يُفاعل، ويَفعل تلتقيان وتفترقان، فتلتقيان من جهة التعدّي. والأصل اللُّغويّ، وتفترقان من جهتي: الفاعليّة والمفعوليّة. فـ(يفعل) تفيد حصر إسناد الفعل إلى فاعل، مع جواز مشاركة الفعل بالعطف، كما تقول: زيدٌ يكتبُ وعمرو. أمّا (فاعَل)، فذكر ابن قتيبة لها معانيَ متعدّدةً يُناسب سياق الآية منها هنا قوله: "وتأتي فاعلتُ من اثنين، وأكثرُ ما تكون كذلك، نحو: قاتلتُه وخاصمتُه"[2]. وقال الحملاوي إنّه: "يكثر استعماله في معنين، أحدهما: التشارُك بين اثنين فأكثر، وهو أنْ يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله"[9].

- وأصل معنى الخدع والمخادعة: الفساد والخفاء والاستتار والمراوغة[11].

- فعلى ذلك يكون المعنى المستفاد من (وما **يخدعون** إلّا أنفسهم) أنّهم عندما حاولوا خداع الله، والله سبحانه لا يُخدع؛ كانوا كالخادع نفسَه؛ لأنّ الله سبحانه لا يُخدع ولا يُخادع، وإذا كان معنى صيغة (خادَعَ) انفعال المفعول به لفعل الخداع الصادر عن المنافقين، فالذي يمكن أنْ ينخدعَ هو الإنسان، وقد يُراد به هنا المسلمون؛ أو الرسول كما ذكر الرازي[12]؛ لأنّ المنافقين يحاولون خداع الرسول والمسلمين حقنًا لدمائهم وحفظا لأموالهم؛ لذلك جاز في معنى (يخادعون الله) انخداع المسلمين على وجه المفعوليّة. أو أنّهم أرادوا الله بالمخادعة، فدلّ ذلك على أنّ المنافقين لا يعرفون الله، ولا يقدّرونه حقّ قدره[13]، فالذي يمكن خداعُه مَن جاز أنْ يخفى عليه شيء، والله سبحانه لا يخفى عليه شيء[12].

ويكون المعنى على قراءة (يخدعون) إذا كانت المخادعة في قوله: "يخادعون الله" كما ذكرنا مخادعة للرسول والمسلمين على وجه الاستعارة، للعلاقة بين الله ورسوله والمؤمنين؛ فكان معنى (وما يخدعون إلّا أنفسَهم) هو لازم المعنى وهو الضرر الراجع على المنافقين بمخادعة الرسول والمؤمنين[14]، أي: وما يضرّون إلّا أنفسَهم، كما ذكر ابن عاشور. والعدول عن مشاكلة الصيغة في قراءة (يخدعون) بدلا من (يخادعون) فيها أنّ الخداع لا يتجاوزهم، فلا يشاركُهم فيه أحد، أيْ: أنّ مخادعة الله، وما يلزم منها من سخطه وعذابه بعد أنْ يختمَ على قلوبهم في الدنيا ويدخلَهم جهنّم في الآخرة. فهم المخدوعون المغبونون لا محالة.

أمّا دلالة القراءة على المشاكلة (يُخادعون) فهي أنّهم وقد نظر كلٌّ منهم إلى نفسه أو إلى جماعته، وهو يدّعي في ظاهر الأمر ما حكاه الله عنهم: "آمنّا بالله وباليوم الآخر". أي أنّ الواحد منهم يراوغ نفسه على الاقتناع بما يدّعي من الكذب، أو يعرضُ بعضُهم على بعض إذا اجتمعوا ما خبث من بواطنهم، فأخذ كلّ واحدٍ من صاحبه ما يشبعُ به نفسه ويرضيه من الشرور وخبث الطويّة؛ فيسوّغ لنفسه الكذبَ بحجّة أنّ له سنّةً وسلفا في ما ذهب إليه.

ومجموع الدلالتين في تكامل الصورة أنّهم في (يخدعون) أنفسهم لعدم صلاح المخادعة فيمَن يستهدفون في الخداع ويوجّهونها إليه، فهم المخدعون. ومن (يخادعون) أنّ بعضهم يؤازر بعضًا بالكذب على أنفسهم بإظهار خلاف ما يبطنون.

2. صيغتا: (فعَلَ، يفْعِلُ/ وفعَّلَ، يُفعِّلُ)

ومنه قوله تعالى: {وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون}[3].

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الحسن والأعمش بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[7]. "يُكذِّبون" فيكون لدينا صيغتان: (يَفعَل، يُفعّل).

- وذكر الحملاوي في شذا العرف معاني لصيغة فعّل تشترك بعضُها مع غيرها، وتنفرد بأخرى، فممّا انفردت به (فعّل): "التكثير فى الفعل، كجوَّل، وطوَّف: أكثر الجَوَلان والطَّوفان، أو في المفعول، كغلَّقتِ الأبواب، أو فى الفاعل، كموّتَتِ الإبلُ وبرَّكَتْ"[9].

- والكذب معروف: وهو نقيض الصدق، فالصدق: مطابقة الخبر للواقع، والكذب: عدم مطابقة الكلام للواقع قصدًا[11].

- فالمعنى عند من خفّف: (يكذبون) أنّه أراد بما كانوا يكذبون عليك أيّها النبي بما حكاه الله عنهم: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ"[3]، وساغ حذفُ حرفِ الجرّ لدلالة السياق عليه؛ أي: بما كانوا يكذبون عليك. فالمنافق –والآية في سياق الحديث عن المنافقين- يظهر كذبا خلافا لما يضمره، كما جاء في قوله تعالى: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ"[3]. فهم كاذبون من هذا الوجه، وهو إضمارهم خلافا لما على ألسنتهم.

وأمّا "يكذّبون" بتشديد عين الفعل، فهو يتعدّى بلفظه، والمعنى المستفاد من التضعيف هو تكذيبهم النبيّ صلوات الله وسلامه عليه في ادّعاء النبوّة، وما جاء به من عند الله من الكتاب والحكمة. والمبالغة المستفادة من الصيغة ترتكز حول عنادهم ومغالاتهم في التكذيب من معالجة الأمر في نفوسهم وفي سلوكهم وإظهار خلاف ما في قلوبهم.

فيكون المعنى في القراءتين قريبا، والغاية واحدة؛ ذلك لأنّ من كذَب على النبي، وأظهر خلاف ما يضمرُه، فحكمه حكمُ من كذّبه وأنكر دعوته فله عذاب أليم[16]. وكان عاقبة تكذيبه والكذب عليه العذابَ الأليم، فالتكامل في الصيغتين كما هو ظاهر، تحريم تكذيب النبيّ صلوات الله عليه، والكذب عليه؛ لأنّ العاقبة واحدة. وكما ذكر صاحب المنار بقوله: "والحكمة في القراءتين إثبات جمعهم للرذيلتين، أيْ: الكذب في دعوى الإيمان، وتكذيبهم النبيّ"[17].

3. صيغتا: (فَعَّلَ، وأفعلَ).

ومنه قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ}[3].

- وقرأ نافع وابنُ عامر وأبو جعفر: "وأوصى". وقرأ الباقون: "ووصّى"[15].

- وذكر الحملاوي أنّ (فعّل وأفعل) تشتركان من وجهين: التعدية والإزالة، ويلزم من سياق الآية التعدية دون الإزالة. فقال: "فَعَّلَ: يكثر استعمالها في ثمانيةِ معانٍ، تُشارك أَفْعَلَ فى اثنين منها، وَهُما التعدية، كقوَّمتُ زيدا وقعَّدته"[9]، ورغم أنّ (فعّل) و(أفعل) قد تأتيان في الكلام بمعنى واحد، إلّا أنّ الفرق بينهما في الآية هو التشديد والمبالغة، وتكرير الفعل ومداومته.

- والوصاة والوصيّة: النصح والإرشاد، وتواصى القومُ: تواصلوا واتّفقوا على أمر ما، ووصّى وأوصى: عهد إلى الشخص، أو أوجب عليه أمرًا، أو خصّه به دون غيره[11].

- وذكر الرازي أنّ الصيغتين بمعنى واحد إلّا أنّ (وصّى) فيها المبالغة والتكثير، فقال: "**وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّ فِي وَصَّى دَلِيلُ مُبَالَغَةٍ وَتَكْثِيرٍ**"[12]. وأنّ التخفيف في (أوصى) رغم أنّه عُدّي بالهمزة إلّا أنّه لا يدلّ على التكرير. ورأى ابن زنجلة أنّ (أوصى) يكون للقليل والكثير، و(وصّى) لا يكون إلّا للكثير[16]. وكان يرى أنّهما لغتان لقريش وغيرهم [13].

ويظهر أنّ الذي حمل بعض المفسّرين على أنّ (وصّى وأوصى) بمعنى واحد، أنّ الصيغتين تفيدان التعدية، ولكن جلّ العلماء ينكرون الترادف في القرآن

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

الكريم، ويرجّحون عدم الترادف على الترادف، كما يرجّحون كلَّ أصل على فَرعه في حال التعارض، كترجيح الحقيقة على المجاز وعدم الاشتراك على الاشتراك[18].

- فتشكّل القراءتان تكاملا في المعنى، وكأنّ كلّ آية آيةٌ مستقلّة بنفسها، فوصيّة يعقوب عليه السلام جاءت على وجه التأكيد والإلزام لأبنائه، فالله سبحانه قد اختصّهم بمسؤوليّة حمل الدين وتبليغه؛ لذلك وجب عليهم التسليم لأمر الله والتزام أمره. ويُستفاد من (أوصى/ أفعل) أنّ الوصيّة كانَت دفعةً واحدة، خلافا للمعنى المستفاد من (وصّى) الذي يُستفاد معنى التوكيد والمبالغة والتشديد للأهميّة وتكرار الفعل مرّة بعد مرّة[19].

4. صيغتا: (مُفَعِّل، ومُفَعَّل).

وقال تعالى:{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} [3].

- قرأ ابن عامر: (مُوَلَّاها) اسمَ مفعول، وقرأ الباقون: (مُوَلِّيها) اسمَ فاعل.
- ومعنى الصيغتين واضح جليّ. فاسم المفعول: صيغة تدلّ على المصدر المبني للمفعول، ومَن أسند إليه الفعل على وجه المفعوليّة، ووقعَ عليه الفعلُ، واسم الفاعل: صيغة تدلّ على المصدر ومَن أسند إليه أو مَن قامَ به[9].
- وأصل معنى ولي: قرب، لذلك يقال لكلّ قريب ولي، أكانت القرابة بالدم أو بين الخالق والمخلوق، السيّد وعبده، فالله ولي الذين آمنوا، والذين آمنوا أولياء لله. وتولّى الأمر: قام به، تحمّل مسؤوليّته، وتولّى عن القوم: انصرف بوجهه عنهم وابتعد، وولّى بمعنى: اتّجه، وبمعنى انصرف عن، تقول: ولّى وجهه إلى الشرق: أي اتّجه إليه، وولّى بوجهه عن الشرق، أي انصرف أو ابتعد عنه. وتولّى المحارب: هرب وفرّ من القتال. وتقول: ولّيتُه إذا صرفتَه ووجّهته، وتولّى إذا انصرف واتّجه[11] . و(المُوَلِّي، مُفعّل) في الآية: الفاعل المتّجه بوجهه إلى القبلة.

وأمّا قراءة ابن عامر فهي تجعل (الموَلَّى، مُفعَّل) مفعولا واقعًا عليه الفعل، فالله تعالى هو الذي يولّي كلّ أمّة القبلة التي يختارها لها.

والفرق في المعنى أنّ (الموَلِّي) فيه إشارة إلى الاختيار والتكليف وتحمّل المسؤوليّة على اختياره هذا، وتوجّهه إلى الدين الذي اختاره لنفسه.

والمعنى المستفاد من (موَلَّاها) أنّ اللهَ المُوَجِّه، أي: المُكلِّف الآمر. و(مولّيها) أنّ الإنسان المخاطب هو الفاعل للتوجّه على وجه الانقياد والطاعة في مقام المأمور. فيكون التكاملُ في الآيتين في أنّ كلّ فعل مردّه إلى الله في أصل الأمر، وفعل الإنسان فرع لفعل الله، إلّا أنّ الإنسان له مزّيّة على المخلوقات بنسبة الفعل إليه، لأنّه حمل الأمانة، وهي الإرادة والقدرة على الفعل وتركه، فدلّت القراءتان على أنّ الله سبحانه يأمرُ الإنسان بالتّوجه على صيغة (مولّى) والإنسان ينفعل للأمر على وجه الطاعة والانقياد لأمر الله على قراءة (مولِّي).

5. صيغتا: (افْتَعَلَ، وافتَعِلْ).

ومنه قوله تعالى: {وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}[3].

- قرأ نافع وابنُ عامر، ووافقهم الحسن: (واتَّخَذوا) فعلا ماضيًا، وقرأ الباقون: (واتّخِذُوا) فعل أمر[15].
- قال الحملاوي في معنى افتعل: "اشتهر في ستة معانٍ: أحدها: الاتّخاذ، كاختتم زيدٌ، واختدم، اتَّخذَ له خاتِمًا، وخادمًا"[9]. ويحمل المعنى نفسه في الطلب.
- ومعنى اتّخذ: جعل واستعمل[11].
- أمّا قراءة صيغة الأمر: (اتّخِذُوا) فعلى تقدير: قلنا، وحذف القول للإيجاز[17] ، معناها أنّ الله أمر المؤمنين المخاطبين وقتَ نزول القرآن، ومَن بلغه الخطاب بالتوجّه إلى مقام إبراهيم والصلاة فيه، وجعله مكانا تؤدّى فيه صلاةٌ على وجه الخصوصيّة؛ ذلك لتعلّقه بالأمر الخاصّ في الآية خلافًا لباقي الأرض التي جُعلت للمسلمين مسجدا وطهورا. فكلّ الأرض بعمومها مسجدٌ تؤدّى فيها الصلاة، والأمر هنا زيادة ترغيب بصلاة بمكان خاصّ، فقد خصّ البيت الحرام بعمومه، وخصّ منه مقام إبراهيم، فهو تخصيص الخاصّ، وكذلك المسجد النبويّ، والأقصى. والواو للعطف على المعنى من (جعلنا) فهو خبر يراد به الطلب، أي: ثوبوا إلى البيت الحرام وحجّوا، واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى[20]. وذكرَ صاحب المنار فائدة الخطاب بصيغة الأمر بقوله: "وَفَائِدَتُهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ ذِهْنُ التَّالِي أَوِ السَّامِعِ الْمَأْمُورِينَ حَاضِرِينَ وَالْأَمْرُ يُوَجَّهُ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ تَصْوِيرٌ لِلْمَاضِي بِصُورَةِ الْحَاضِرِ لِيَقَعَ فِي نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ بِالْقُرْآنِ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَنَاوَلُهُمْ، وَأَنَّهُ مُوَجَّهٌ إِلَيْهِمْ كَمَا وُجِّهَ إِلَى سَلَفِهِمْ فِي عَهْدِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ"[17].

ومعنى قراءة مَن قرأ بالماضي عطفًا على اللفظ من (جعلنا) كما ذكر الزمخشري: أنّ الناسَ جعلوا مقام إبراهيم لاهتمامه به وإسكان ذرّيته مصلّى وقبلةً[19].

والتكامل بين القراءتين أنّه في ضمّ صيغةِ الماضي إلى الأمر يشعر القارئ أو المخاطَب أنّه امتداد لأمّة سالفة؛ فهو خلفٌ يسيرُ على خطى السلف، فقد أُمرنا باتّخاذ مقام إبراهيم مصلّى، وأنّ هذا الأمر اقتداءٌ للخلف بالسلف من هذه الأمّة الذين ذكرهم بصيغة الماضي (اتّخَذُوا)، فكان الخطاب أبلغ والرسالة آكد وأوضح[17].

المبحث الثاني

المستوى الدّلالي:

أمّا المستوى الثاني فهو مستوى التغيّرات التي تقع في أحرف المبنى وتخرج بالكلمة عن أصلها المعجمي إلى أصل معجميّ آخر.

وجاء على هذا المستوى كثير من القراءات التي تتعدّد فيها المفردات على وجه التباين، ويقال عنها (المتباينة)[21] مثل: (نُنشِزُها، ونُنْشِرها) فكلّ كلمة تباين صاحبتها من جهة الأصل اللّغويّ ودلالته، وإنْ التقتا في وجه من العموم والخصوص والسبب والمسبّب والمقدّمة والنتيجة. فلن تعدم علاقة ما بين أيّ مفردتين، ولو على وجه التعارض أو التقابل. ولا يلزم من تعارض المفردات تعارض في دلالة التركيب.

وقد يكون هذا الوجه أكثر وجوه الاختلاف جلاءً من جهة تباين الدلالة؛ تبعا لتباين اللفظ. ولكنّ الجهد الذي يبذله أهل التفسير والقراءات يتركّز على استخراج تلك المعاني المتباينة، ثُمَّ ضمّ بعضها إلى بعض لتشكيل المعنى الكلّي المستفاد من القراءتين أو القراءات المختلفة. كما سيأتي. وهذا الذي عدّه ابن قتيبة من اختلاف التغاير.

ومن أمثلة ذلك. قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون}، وقرئ "نُشْرًا" و"نُشُرًا" و"نَشْرًا[22] "، فقراءة "بُشْرًا" من البشارة، وذلك أن الريح تبشّر بالمطر، وأمّا قراءة: "نشرًا"؛ فإنّ "الريح النشور التي تهبُّ من كلّ جانب، وتجمع السحابة الممطرة" وعن الفراء: "أنّ النشر من الرياح: الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب"[23].

أمثلة في اختلافات المعنى المعجميّ:

بعد عرض الاختلافات الدلاليّة في مظاهرها الصرفيّة، نعرض للاختلافات الدلالية التي فرضتها الظواهر اللُّغوية المتنوعة، وفي الحديث عن الاختلافات الدلالية ذكر العلماء أنّ غاية الدرس اللُّغوي هو المعنى، إذ هو في الأصل الغاية من التواصل الكلامي بين البشر[24]. وقد ظهر لنا ممّا تناولناه فيما سبق أثر التنوّع الصرفي في غنى دلالات القراءات القرآنية المتنوّعة. وفي هذا المبحث سيعرض البحث اختلاف الألفاظ وأثرها في توجيه المعاني لكلّ آية من الآيات التي تعدّدت في قراءاتها لفظة واحدة تختلف في بعض أوجه الرسم المتعلق إمّا بهمز أو بغير همز، أو باختلاف الإعجام ممّا جعل كل قراءة مختلفة في ردّها إلى أصل غير أصل الأخرى. وربما يصلح أنْ يكون في الموضعين، نحو الاختلاف في قراءة السِّلم والسَّلم {السِّلْمِ}[3] وغيرها.

1. (أزال، وأزلّ).

قال تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}[3].

- قرأ حمزة ووافقه الأعمش. (فأزَالَهُما)[15] . وقرأ الباقون: (فأزلَّهُما).
- ومعنى (أزلّ) كما جاء في المعاجم من الزلل: وهو عثور القدم، يقال: زلّت قدمُه، وزلّ به الفعل. وزَلَّ السَّهْمُ عَنِ الدِّرْعِ، والإنسانُ عَنِ الصَّخْرة. ومن المجاز: زلَّ في قوله ورأيه زلةً وزلَلاً. وأزلَّه الشيطانُ عن الحقِّ واستزلَّه"[25].
- وأمّا أزال فهو من الزوال وهو التنحية[11] ، أزال العوائق من طريقه: رفعها، أزالَ الصعوبات: ذلَّلها، أزال الغمَّ عنه: كشفه وفرّجه، أزال ما كتبه: محاه[26]. والهمزة في الفعلين للتعدية.

وذكر أبو حيان لقراءة: "فأزلَّهُما"، معانيَ متعدّدةً منها: أبعدهما، تقول: زلّ عن مرتبته، وزلّ من الشهر كذا: أي ذهب وسقط. والزلّة هي السقوط في المعنى؛ إذ فيها خروج فاعلها عن طريق الاستقامة، وبُعده عنها. وقال في معنى (أزالَهما): عن بعض شيوخه: أنّ الإزلال والإزالة: الإخراج[27]. وكذلك "قَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ مِنَ الزَّلَلِ يَكُونُ الْإِنْسَانُ ثَابِتَ الْقَدَمِ عَلَى الشَّيْءِ، فَيَزِلُّ عَنْهُ، وَيَصِيرُ مُتَحَوِّلًا عَنْ ذَلِكَ الموضع، ومن قرأ (فأزالهما) فَهُوَ مِنَ الزَّوَالِ عَنِ الْمَكَانِ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ أَزَلْتُكَ عَنْ كَذَا حَتَّى زِلْتَ عَنْهُ، وَأَزْلَلْتُكَ حَتَّى زَلَلْتَ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، أَيْ: حَوَّلْتُكَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ أَيِ اسْتَزَلَّهُمَا، فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ زَلَّ فِي دِينِهِ إِذَا أَخْطَأَ"[12].

والمقصود بالقول المنقول عن أبي معاذ أنّ معناهما واحد، أي أنّ نتيجتي الفعل ومآله واحد، وليس المعنى واحدا في أصل الوضع. فـ (زال) تنحّى، وفيه معنى القدرة والاختيار، بينما (زلّ) سقط وفيه معنى انعدامِ الإرادة والقدرة على التماسك والتوازن، وقد بَيّنتِ الآيةُ أنّ نتيجة القراءتين (أزلّهما وأزالهما) الخروجُ من الجنّة: "فأخرجهما ممّا كانا فيه". نتيجة لإغواء الشيطان لهما وإطاعتهما له. ولكنّ دلالة (أزلَّهُما) فيها معنى سقوط آدم وزوجه في المعصية، وما يترتّب على تلك السقطة من خروجهما من الجنّة. ففيها دلالة الفعل ونتيجته. "فكان الذنبُ متّصلا بالعقوبة اتّصال السبب بالمسبّب"[17].

أمّا دلالة (أزالهما) فإنّهما قد تنحَّيا عن النعيم والكرامة التي ابتدأهما الله بها، وهي سكنى الجنّة، إلى سكنى الأرض والاستخلاف فيها بالتكليف والابتلاء[19].

فتتكامل القراءتان في إحاطة الواقعة أو الحدث من كلّ وجه ممكن، وتتمّ الصورة للمتلقّي بكلّ تفاصيلها.

2. (النبيّين، النبيئين).

وقال تعالى: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ}[3].

- قرأ نافع: النبيئين، وقرأ الباقون: النبيّين[15].
- والنبيئين من (نبأ) والنبيّين من (نَبَوَ) والأصل في اختلاف الأصلين اختلافٌ في المعنى، فمِن معاني نبا نبوًا: ارتفع وعظُمَ، والنبْوةُ من الأرض ما ارتفع منها، والنبْوة: الرّفعةُ والشرف، فالنبوّ: يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ[28]. وجاء في كتاب الأفعال: والنبيّ مشتقٌّ منه أي من (النبو)؛ لأنّه شَرُفَ على سائر الخلق[29]. وذكر صاحب تاج العروس عن الكسائي: "والنَّبِيُّ، كغَنِيَ: الطَّريقُ الواضِحُ، والأَنْبياءُ: طُرُقُ الهُدَى"[30].
- أمّا ما دلّ عليه (نبأ) فلم يتعرّض أغلب المفسّرين إلى بيان المعنى لوضوح دلالته. والنّبأُ، مهموز: الخَبَرُ، وإنّ لفُلانٍ نبأً، أي: خَبرًا، والفِعلُ: نبّأته وأنبأته واستنبأته، والجميع: الأنباء والنَبيُّ يُنبيء الأنباء عن الله عزّ وجلّ[31]. وجاء في مقاييس اللّغة: "النَّبَأُ: الْخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَالْمُنْبِئُ: الْمُخْبِرُ. وَأَنْبَأْتُهُ وَنَبَّأْتُهُ"[28].

إلّا أنّ القرطبي ذكر قراءة نافع وقال: "فأمّا مَن همز فهو عنده من (أنبأ) إذا أخبر، واسم فاعله مُنْبِئ، ويُجمع نبيء على: أنبياء، ونُبَآء... واختلف القائلون بترك الهمز فمنهم من اشتقّ اشتقاق مَن همز، فهما في معنى واحد. وربّما أنّ مَن جعل غيرَ المهموز من المهموز في المعنى والاشتقاق قد حذف الهمزة طلبا للخفّة[32].

ومنهم من قال: هو مشتقّ من نبا ينبو إذا ظهر. فالنبيّ من النبوَة، وهو الارتفاع، فمنزلة النبي رفيعة"[13]. أمّا مَن قال باتّحاد المعنى مع اختلاف اللفظ فمرجوح مع وجود مَن يقول باختلاف المعنى مع اختلاف اللفظ كما هو معروف في الأصول.

- فالتكامل على ما تقدّم في الدلالتين أنّ النبيّ شريف المنزلة ذو رتبة عالية، فوق رتبة سائر البشر، وهو معنى صحيح تعاضده النصوص المتوافرة ومتّفق عليه، وكذلك كلّ نبيّ قد تنبّأ عن الله أي: تلقّى خبرًا عظيمًا، والنبيُّ كذلك طريقٌ واضحٌ هادٍ موصل إلى الله وشرعه. لذلك كانت القراءتان تحيطان بالمقصود من الكلام والغاية من كلّ وجه.

3. (نُنْسِها، نَنْسَأْها).

قال تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[3].

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وافقهما ابن محيصن واليزيدي: (نَنْسَأها). وقرأ الباقون: (نُنْسِها)[7] .
- ومعنى (نسأ) كما جاء كتب اللُّغة: نسأ الشيْءَ: أخّره، وزاد في مدّته، نسْءُ الأشهر الحرم: تأخيرُها لغيرميقاتها، ونَسْءُ الدَّيْن: تأخيره. وأنسأ: أخّر،

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

فتدور معاني نسأ حول معنى التأخير.

- أمّا نُنْسِها فهي حملُ المرء على فقد تذكّر أمر ما. وهي مِن نَسِيَ: فَقَدَ تذكّرَ أمرٍ ما. أو أنّه أرادَ الترك؛ يريد: أو نتركها فلا ننسخها[16].

قال الفارسيُّ في (نَنْسأها): "ففُسِّر على التأخير، أي: نؤخّرها"[33] ، وقيل من الزيادة، ومنه قولك في الدعاء: "نسأ اللهُ أجلَك، وأنسأ في أجلك"[16].

قال الزمخشري: "إنساؤها أنْ يذهب بحفظها عن القلوب. والمعنى أنّ كلّ آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل"[19].

وذكرَ القرطبيُّ أنّ المعنى قد يكون: نؤخّر نزولها أو نسخها، وقيل: نُذهبُها عنكم حتّى لا تُقرأ ولا تُذكر[33]. وقال صاحبُ الميزان: "الإنساء: إفعال من النسيان، وهو الإذهاب عن العلم كما أنّ النسخ هو الإذهاب عن العين، فيكون المعنى: ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأتِ بخير منها"[20]. فالمعنى عنده الذهاب كما هو ظاهر.

فتتكامل معاني (النسيان والإنساء) في ذهاب الآية عينًا أو علمًا مع تأخير أمرها، وتأجيل نسخها، أو تركها دون نسخ؛ لتشكّل فكرة كليّة للممكن من الاحتمالات الواردة حسب القراءتين المتّسقة كلّها مع السياق، سياق إخبار الله سبحانه أنّه يمحو ما يشاء ويُثبت، أو يترك الأمر على أصل حاله. وأنّ الأمر له وبيده سبحانه، فقال مباشرة بعد الآية: "ألم تعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير".

وكلّ الاحتمالات قد وقعت بالفعل، فوقع النسخ بالكليّة للكتب السابقة بالقرآن كلّه، وتُركت آياتٌ كما نزلت محكمةً غيرَ منسوخة، ووقع النسخُ مع بقاء التلاوة لبعض أحكام الآيات، أمّا النسيان فإنْ وقع، فلا قدرة لنا على تذكّره إنْ أوقعه الله على نبيّه صلوات الله وسلامه عليه، أو كان هذا النسيان بمعنى الإهمال، فقد أهملت الآيات المنسوخة من العمل كما أهمل العمل بالأديان السابقة.

4. (نُنشِزُهَا، نُنْشِرُها).

قوله تعالى: {وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}[3].

- قرأ ابنُ عامر، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائي، وخلف ووافقهم الأعمش: (نُنشِزُهَا). وقرأ الباقون: (نُنْشِرُها)[15] .
- أمّا (نشز) فتقول: نشزتِ المرأةُ والأرضُ نشوزًا، أي: ارتفعت، وتقول: نشزَ الشيءُ إذا ارتفع عن مكانه وبرز. والناشزُ المرتفع، وأنشز الله العظامَ: رفعها إلى مواضعها وركّب بعضها على بعض[11]. فالنشز الرفع، والاستعلاء. وانتقال الشيء من سفل إلى علو حقيقي أو معنويّ.
- ومعنى (نشر) تقول: نشرَ نشرًا ونشورًا: أحيا. وتقول: نشرَ الله الميّت، أي: أحياه. ونشر الخبرَ: بثّهُ وأذاعه. ونشرَ الثوبَ: بسطه. ونشر الراية رفعها، ونشر الله الريح: أجراها. والنشر: رفعُ الشيء أو الأمر رفعا مع حيويّة أو حياة أو حركةٍ وجريان. وعلى ذلك قول ابن زنجلة: "نُنْشِرُها" بالراء: أي كيف نحييها[23].

فمن قرأ (نُنْشِزُها) كان معناه: نجعلها بعد بِلاها وهُجودها مرتفعة، يرتفع بعضُها إلى بعض[34]. وبمعنى نحرّكها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب[19]. وكذلك: نرفعها من الأرض فنردّها إلى أماكِنِها من الجسد ونركّب بعضَها على بعض[12].

ومن قرأ (نُنْشِرُها)، فهُو من أنْشَرَ اللَّه الموتى ونشرهم أي: أحياهم. ونشر العظم: أحياه، وقال تعالى: "قال من يحيي العظامَ وهي رميم"[3]

- وبناء على ما تقدّم: فإنّ القراءتين تتّصلان اتّصالا ضروريًّا، فالله سبحانه قد أنشز العظام وحرّكها، ورفع بعضها إلى بعض وركّبها كما كانت قبل موت الحمار وذهابه في الأرض على معنى النشوز. وقد أحياها وبثّ فيها الروحَ والحياة على معنى النشور، وليست القراءتان على وجه التكامل فقط، بل على وجه الإلزام والضرورة، فما يعني أنْ يُحيي العظام وتبقى ملقاة إلى الأرض، وما يعني رفعها عن الأرض دون أنْ يحييها؟

تكامليّة الاختلافات

عرضنا في هذا البحث لوجهين من وجوه القراءات القرآنية تبعًا لمستويات الدرس اللُّغوي الحديث الذي جعلها أربعة مستويات: الصوتي، والنحوي والصرفي والدلالي. والحقّ أنّ المفسّرين لم يفردوا في مؤلّفاتهم كلّ مستوى منفصلاً عن غيره من الدرس اللُّغوي، وذلك كان له أثره في تداخل المستويات بعضها ببعض. وقد يحار الباحث أحيانا برد دراسة آية إلى مستوى مُعيّن.

ومن هنا رأينا في كثير من القراءات تكامل هذه الأوجه، مع تكامل دلالاتها كما في قراءة الآية 259/ البقرة، "كيف نُنْشِزُها"/ "ننشرها"، ونحو ذلك قراءة "فأزلّهما" و"أزالهما" بألف ترسم صغيرة بعد الزاء. ورغم اختلاف الكلمات فإنّ دلالاتها تتكامل تكاملاً عجيبًا بتغاير لا تضادّ فيه.

6. الخاتمة

قام هذا البحث على دراسة تكامل القراءات القرآنية، إذ أقرَّ أغلب المُتقدّمين ما ذهب إليه ابن قتيبة من أنّ اختلاف القراءات القرآنيّة لا يعدو أنْ يكون اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد، وأنّ التنويع في القراءات لا يتناقض في كلّ قراءة مع دلالات الآيات القرآنيّة التي لاحظنا في بعض قراءاتها اختلافًا في أصوات حروفها، أو في إعراب كلماتها، أو اختلافًا في صيغها الصرفيّة أو في ألفاظها. فكلُّها تتكامل لتؤدّيَ غرضين أو أكثر ممّا ذهب إليه بعضُ العلماء المتقدمين من إيجاز أو اختصار بدلًا من نزول آيتين مختلفتين. ولوحظ كذلك في ثنايا هذا البحث مدى أهميّة الدرس اللُّغوي القرآني، وقد أنتج لنا هذا مئات المؤلّفات في اللُّغة القرآنيّة، إنْ لم يكنْ أضعافَ هذا العدد. ونختم هذا البحث بما ذكره ابن الجزري من فوائد اختلاف القراءات وتنوّعها فإنّ: "في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كلّ قراءة بمنزلة الآية..."

بيان تضارب المصالح

يشهد المؤلفون أنه ليس لديهم أي انتماءات أو مشاركة في أي منظمة أو كيان له أي مصلحة مالية (مثل الأتعاب، والمنح التعليمية، والمشاركة في مكاتب المتحدثين، والعضوية، والتوظيف، والاستشارات، وملكية الأسهم، أو أي مصلحة أخرى في الأسهم؛ والخبير شهادة أو ترتيبات ترخيص براءات الاختراع)، أو مصلحة غير مالية (مثل العلاقات الشخصية أو المهنية، والانتماءات، والمعرفة أو المعتقدات) في الموضوع أو المواد التي تمت مناقشتها في هذه المخطوطة.

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر:

[1] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، د.ت، عالم الكتب، بيروت.

[2] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276هـ)، تأويل مشكل القرآن تحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1401هـ/ 1981م. بيروت.

[3] القرآن الكريم.

[4] البخاري، محمّد بن إسماعيل، (256هـ) الصحيح الجامع، ط1، (بيروت دار الجيل، د،ت).

[5] عبّاس، فضل، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط1، عمّان، دار الفرقان، 1997

[6] المقدسي، أبو شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل (ت 665هـ)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، 1395هـ_ 1975م. بيروت

[7] ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

[8] الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ/ 2001م. بيروت.

[9] الحملاوي، أحمد بن محمد، (المتوفى: 1351هـ) شذا العرف في فن الصرف، المكتبة الثقافيّة، بيروت. 1953م

[10] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، ط4، تحقيق: محمّد محيي عبد الحميد، السعادة، مصر، 1963م.

[11] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرك (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، د.ت، بيروت.

[12] الرازي، محمد بن عمر، (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب، ط3، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[13] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت671هـ، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، ومحمد رضوان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1427هـ/ 2006م. بيروت.

[14] ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، د، ت. بيروت.

[15] خاروف، محمّد فهد. راجح/ محمد كريم، الميسّر في القراءات الأربع عشر، ط4، دار ابن كثير، 2006.

[16] الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444هـ).

أ. التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، 1985م بيروت.

ب. جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ويحيى مراد، دار الحديث، 1427هـ/ 2006م، القاهرة.

[17] رضا، محمّد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، المشهور بالمنار، دار الكتب العلميّة، بيروت.

[18] الخطّابي، (388 هـ)، بيان إعجاز القرآن، ط3، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر. 1976م.

[19] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، 1406هـ/ 1986م. بيروت.

[20] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط1، دار الأضواء بيروت. 2010م.

[21] الغزالي، أبو حامد، (ت 505هـ) المستصفى، ط1، تحقيق: محمّد الأشقر، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 2012م

[22] ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت 324هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، 1980م. القاهرة.

[23] ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1402هـ/1982م. بيروت.

[24] محمود السعران، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، 1962م. القاهرة.

[25] الزّمخشريّ، جار الله محمود بن عمر، (ت538هـ/1144م)، أساس البلاغة، ط1، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت،2001م.

[26] أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) معجم اللغة المعاصرة، ط1 بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، 2008.

[27] أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: 745هـ)، التفسير المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ

[28] ابن فارس، أحمد بن زكرياء، (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

[29] العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (ت616هـ)، إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلميّة، 1399هـ/1979م، بيروت.

[30] الزّبيديّ، محمّد بن محمّد الحسينيّ، (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 2005م.

[31] أبو علي الفارسي، الحسن بن الغفار (ت388هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، ط1، 1404هـ/ 1984م. دمشق.

[32] الثعلبي، أحمد بن محمد، (المتوفى: 427هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 2002 م

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

[33] أبو علي الفارسي، الحسن بن الغفار (ت388هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، ط1، 1404هـ/ 1984م. دمشق.

[34] الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ بن سهل (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبيدة شلبي، المكتبة العصرية، د.ت، بيروت. 2005م.

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.